بسم الله الرحمن الرحيم

(القسم الثالث التصوف)

الحمد الله القائل(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ). والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المجاهدين وإمام العابدين من تورمت قدماه في خدمة مولاه وقيل له في ذلك قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال (أفلا أكون عبدا شكورا) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه ومن تبعهم بإحسان أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب

إعلم وفقك الله أن أصحاب المصطفى هم أئمة عدول زكاهم القرآن بقوله (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ) وزكاهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) لهم حق الاجتهاد والتابعون اقتفوا هذا الأثر، وتفرق مجتهدوا هذه الأمة على ثلاث فرق : فرقة نصبت نفسها لإستنباط أحكام الفقه واختصرت مذاهبهم إلى أربعة وهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ، وفرقة نصبت نفسها إلى بيان أحكام العقائد واجتهدوا رغم معارضيهم فأوضحوا الحق وهم الأشاعرة والماتوريدية ، وفرقة الزموا أنفسهم المجاهدة والعمل لما حققته الفرقتان وهم رجال الطرق الصوفية وعلى رأسهم ابو القاسم الجنيدي وأمثاله فكل طريق امتثل في عقائده إلى ما قاله أهل السنة وعمل لما قاله رجال

الفقه فهي طريقة سليمة وإلا فهي بدعة منكرة لما جاء عن سيد الطائفة أبي القاسم الجنيدي البغدادي (قوام أمرنا هذا بكتاب الله وسنة رسوله) . وقد جاء عن المعز بن عبد السلام (من تصوف ولم يتشرع فقد تزندق ومن تشرع ولم يتصوف فقد تفسق ومن تشرع وتصوف فقد تحقق) . فاعلم أن أول ما يجب على المريد العهد وهو يكون على يد شيخ عارف بالله قد قطع الطريق على يد شيخ ربي روحه وطهر نفسه متصل نسب شيوخه بسلسلة رجال الطريق لما ورد في قوله تعالى (الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) وقوله تعالى (وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) وقال تعالى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) والعهد والبيعة والعقد والميثاق بمعنى واحد، وقد تكرر العهد من المصطفي لأصحابه بعد بيعة العقبة في مرات منها بيعة الرضوان لقوله تعالى (لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) منها بيعة النساء لقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ) والعهد من الشيخ للمريد على التوبة من جميع الذنوب واتباع الكتاب والسنة والمواظبة على الأوراد وهي مجموعة من الأذكار والصلاة على النبي والاستغفار والتسبيح في أوقات معلومة لما ورد في القرآن والسنة من الحث على تعمير هذه الأوقات بالذكر فقال تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) وقوله تعالى(فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وحين تُصْبِحون) وقوله تعالى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) ولقد اتخذ أهل الطريق كيفية تلقين العهد بحديث عن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال :" سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله : دلني على أقرب الطرق إلى الله عز وجل

وأسهلها علي عبادة وأفضلها عند الله فقال صلى الله عليه وسلم (ياعلى عليك بمداومة ذكر الله عز وجل سراً وجهراً فقال علي كل الناس ذاكرون يارسول الله، وإنما أريد أن تخصني بشئ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مه ياعلي أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ولو أن أهل السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت لا إله إلا الله) ثم قال صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله) ثم قال علي كرم الله وجهه كيف أذكر يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ولا ثم قل أنت لا إله إلا الله ولاته وأنا أسمع ثم رفع رأسه صلى الله عليه وسلم ومد صوته وهو مغمض عينيه وقال لا إله إلا الله . وعلي يسمع ثم إن عليا رضي الله تعالى عنه رفع رأسه ومد صوته كما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا إله إلا الله والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع "فهذا أصل سند الصوفية في تلقين العهد واعلم أن التلقين ارتباط القلوب لبعضها ببعض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد جاء من بعض العارفين أن ارتباط القلوب ينفع وأقل مايحصل المريد الصادق عليه إذا دخل سلسلة القوم بالعهد فيكون إذا حرك نفسه، باعتباره حلقة من هذه السلسلة بالتوجه إلى الله بالإخلاص جاوبته أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حضرة الله عز وجل .

اعلم يا أخي أن كل ورد من أوراد الطريق له أدلة من الكتاب والسنة فأول ما يبدأ المريد من أوراد : قيام الليل لقوله تعالى (يَا

أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (*) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) وقوله تعالى (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) وقوله تعالى (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) وقال صلى الله عليه وسلم (عليك بقيام الليل فإنه دأب الصالحين من قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطهرة للداء عن الجسد) وقال صلى الله عليه وسلم (ركعتان يركعهما ابن آدم في جوف الليل يكفر الخطايا) وقال صلى الله عليه وسلم (ركعتان يركعهما ابن آدم في جوف الليل خير من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم) وقال عليه الصلاة والسلام : (أفضل الصلاة نصف الليل وقليل فاعله) وقال صلى الله عليه وسلم : (أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) والقيام له فوائده منها تحسين الوجه لما جاء عن سيد الأخيار صلى الله عليه وسلم (من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار) ومن فوائده أن من فاته القيام لغلبة نوم كتب الله له أجر صلاته ، وكان نومه عليه صدقة فقال صلى الله عليه وسلم (ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة) ومن فوائده كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يعقد الشيطان على رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة نم عليك ليل طويل فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث

النفس كسلاناً ومنها أنـه ينجو من بول الشيطان) فقد روى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقيل مازال نائماً حتى أصبح ما قام للصلاة قال (ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه) حديث متفق عليه .

التهجد

وهو الصلاة من الليل بعد النوم وأما الصلاة قبل النوم فتسمى قياماً فاختلفوا في عدد ركعات القيام (التهجد) فقائل ثماني ركعات وقائل اثنى عشر ركعة وكل حسب توفيقه ، وعلى الإنسان أن يرفق بنفسه ولايحملها مالا طاقة لها به لقوله صلى الله عليه وسلم (إن هذا الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه) وقال عليه الصلاة والسلام (خذوا من العبادة ما تطيقون وإياكم أن يتعود أحدكم عبادة ثم يتركها فليس شئ أشد على الله من أن يتعود الرجل العبادة ثم يرجع عنها). رواه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وعنه صلى الله عليه وسلم أنـه قـال (يا أبا ذر إن لجسدك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً وإن لربك عليك حقاً (وفي روايـة) وإن لـزائـرك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه فصم وافطر ونم وأت أهلك) ومنها أن ينوى بعاداته التقوى على العبادة فمثلا أن ينوى بالنوم التقوى على قيام الليل وبالأكل والشرب أيضاً وبالجماع إحصان الفرجين وطلب الذرية الموحدة لله تعالى وغير ذلك فتكون عاداته عبادات ولاتوقظ أخاك من نومه إلا إن خيف عليه أن تفوته فريضة

أو ورد من الأوراد لقوله صلى الله عليه وسلم (رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح في وجهها الماء ورحم الله المرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء) ثم يشرع بعد التهجد في ورد المسبحة وهو الاستغفار مائة مرة بأي صيغة والأفضل أن يقول (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) وسيد الاستغفار (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ماصنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) والحكمة في العدد الاقتداء به صلى الله عليه وسلم حيث قال (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) وفي رواية (توبوا الى الله مائة مرة فإنى أتوب كل يوم مائة مرة) ثم يشرع في الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم مائة مرة بأي صيغة والأفضل أن يقول (اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله) لقوله صلى الله عليه وسلم (من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات ومن صلى على عشر مرات صلى الله عليه مائة ومن صلى على مائة صلى الله عليه ألفاً ومن صلى على ألفاً حرم الله جسده على النار وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة وجاءت صلاته علي النبي صلى الله عليه وسلم نوراً) ومنها أنها تعدل ثواب الحج وثواب الجهاد في سبيل الله وكذلك من الفوائد أنها تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر

الأرزاق وتقضى الحوائج . ثم يشرع في قراءة أوراده بنفس الترتيب الموضح في قسم الأوراد .

فضل الذكر

قال تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) وقال صلى الله عليه وسلم (إن ذكر الله شفاء وإن ذكر الناس داء) وقوله (أعظم الناس درجة الذاكرون الله) وقوله (ومن أكثر ذكر الله تعالى أحبه الله تعالى) وقوله صلى الله عليه وسلم (من أكثر ذكر الله فقد برئ من النفاق) وقوله (لذكر الله بالغداة والعشى خير من حطم السيوف في سبيل الله) وقوله (مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة وتحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله على عرشه)

آداب الـذكـر

خمسة قبله : التوبة ، الوضوء ، السكون ، السكوت ، أن يستمد بقلبه عند شروعه في الذكر بهمة شيخه ، وأن يرى استمداد شيخـه من النبي صلى الله عليه وسلم .

ففي حال الذكر : 1 ـ جلوسـه في مكـان طاهر ٢ ـ أن يضع راحتيه على ركبتيه . 3 ـ تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة وكذلك ثيابه . 4 ـ لبس الملابس الطيبة الحلال . 5 ـ اختيار المكان المظلـم إن كـان وحده

6 ـ تغميض العينين . 7 ـ أن يتخيل شخص شيخه بين عينيه، وهذا أكد الآداب عند القوم . 8 ـ الصدق في الذكر حتى يستوى .

وثلاثة بعده وهي : أن يسكن ويسكت ولايشرب الماء عقب الذكر.

وقد قسم رجال الطريق أحوال النفس إلى سبعة أقسام : الأول مقام الأغيار وتسمى النفس فيه بالأمارة وعلاجها **(لا إله إلا الله)** خمسمائة مرة والإكثار منها . الثاني مقام الأنوار وتسمى فيه النفس باللوامة ويذكر المريد فيه **(الله)** كثيراً . الثالث مقام الأسرار وتسمى النفس فيه بالملهمة ويكثر فيه من ذكر **(هو)** . الرابع مقام الكمال وتسمى فيه النفس بالمطمئنة ويكثر من ذكراسمه تعالى **(حق)** . الخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية ويذكر فيه اسمه **(حى)**. السادس مقام تجليات الأفعال وتسمى فيه النفس بالمرضية ويذكر فيه اسمه تعالى **(قيوم)** السابع مقام تجليات الصفات والأسماء وتسمى فيه النفس الكاملة ويذكر فيه اسمه تعالى **(قهار)**. ولا ينتقل من اسم إلى اسم إلا بعد إذن شيخه وتلقيه الاسم ومع هذه الأسماء يلازم في الصباح (حيث أنها تقرأ مساءاً) الاستغفار مائة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مائة . ومصطلح أهل طريقنا في الذكر الدوران وأن يحدو الإخوان حاد (أى منشد يعظهم بإنشاده) وأن يتفقوا جميعاً بأصواتهم فلا يخرج أحدعليهم وأن يقسم الذكر بينهم المقسم (أي المستبدي) لأن حرمته كحرمة الإمام في الاتباع ويختم الذكر حيث شاء ، وهم تبعه ، ويهب ثوابه لمشايخ الطريق ثم ينصتون إنصاته وهي المعروفة

(بالسكتة) يراقبون فيها المذكور ثم يتصافحون وينصرفون .
شروط الطريق :

1 ـ الصمت . ٢ ـ الجوع وهو اختياري لاضروري . 3 ـ الاعتزال

إلا عن شيخ أو درس علم. 4 ـ السهر . 5 ـ الطهارة ظاهراً وباطناً.
6 ـ مداومة الذكر بالاسم الذي يلقنه الشيخ للمريد . 7 ـ نفى خواطر القلب لئلا يشغل به عن استحضار معنى الذكر . 8 ـ ربط المريد بالأستاذ ومعناه أن يداوم المريد على استحضار صورة الشيخ وهذا من أكد الشروط .

وبهذا تم قسم التصوف